

أمهرها القرآن

صالح الهطالي

٢ من شعبان لعام ١٤٣٠ هـ / ٢٤ من يوليو لعام ٢٠٠٩ م

المشهد الأول

(تفتح الستارة ويدخل شيخ في الخمسينات من عمره، وقد بدأ الشيب يجتاح رأسه ولحيته الطويلة. يجلس الشيخ على البساط ويتناول مصحفاً ويبدأ قراءة آيات من القرآن. يدخل عليه شاب في العشرينات من عمره ويده صحن تمر ودلة قهوة وبعض الفناجين، ويضعها جميعها على البساط بعد أن سلم على والده)

الابن: السلام عليكم.

الأب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

الابن: لقد أحضرتُ القهوة يا أبي، فهلّمّ معي نتناول فنجاناً منها، فأني أشعر بالضيق والملل.

الأب: ولم الملل والضجر يا ولدي، وأنت ما مرّ على وصولك من سفرك إلا بضعة أيام؟

الابن: أبي. إني أفكر فيما نحن عليه من سوء حال، وأفكر في حالي وقد آن لي أن أتزوج. ولكن عندما أبدأ في التفكير في هذا الأمر، تذكرتُ غلاء المهور، وتساءلتُ: مَنْ سيزوجني ونحن على هذه الحال من الفقر؟

الأب: أستغفر الله يا ولدي. وهل نحن فقراء، وقد منَّ الله علينا بك؟ يا ولدي ليس الفقر قلة المال، ولكن الفقر من الدين هو الفقر الحقيقي. والحمد لله فإني أكسب يوميًا أجرًا مناسبًا يكفيننا لسدِّ لقمة العيش، وأقوم بتعليم الأطفال كتاب الله احتسابًا للأجر عند الله. وأنت يا ولدي ستنتهي دراسة الشريعة في هذه السنة. وأحمد الله أننا من أسرة يسمع فيها ذكر الله ليل نهار، ولا يخلو ذكره في صدور أصحابها.

الابن: الحمد لله على كل هذا يا أبتى، ولو أن الناس عرفوا قيمة ما نحن عليه وفيه من نعمة الإسلام ولذة الإيمان، لربما رضوا أن يزوجوني بما أحفظ من القرآن، كما كان يفعل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

الأب: يا ولدي. هناك أناس أطياب دخل الإيمان في قلوبهم، وقد منَّ الله عليهم ببنات، وهم حريصون على أن يجدوا لبناتهم الشباب الصالحين الذين يأتونهم على دين بناتهم قبل دنياهنَّ.

الابن: وهل سنجلس القرفصاء انتظارًا لقدم من يبحث عن زوج لابنته؟ لو كان لدينا مالٌ لبحثنا نحن عن البنت التي أتزوجها. ألم أقل لك يا أبي بأن هذا زمان الطمع والمال، وليس زمان الإسلام والقرآن؟

الأب: لا تقل هذا يا ولدي. إن الآلاف التي يطلبها الأب مهرًا لابنته، هي في الحقيقة ربح تجارة أو سلعة وُهب إياها. إنها حقيقة صفقات تجارية تُعقد بين شخص أعمى بريقُ الريالات عينيه فلم ير الآية التي تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّن لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (النساء: ٤). صدق الله العظيم. يا ولدي، ليست المشكلة مشكلة واحدة، وإنما مشكلتان: الأولى: غلاء المهر، والرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - يقول: ((من حَسَنَ نِكَاحِ الْمَرْأَةِ قَلَّةَ مَهْرَهَا)).

والمشكلة الثانية والأدهى هي مشكلة احتساء الأب للمهر، وما فاض من شدقيه يتلقفه الأقارب، دون أن ترى البنت شيئاً من مهرها سوى بعض الحلي الذي لا يساوي إلا الشيء اليسير.

الابن: أبي. إن هذا الأمر يكاد أن يقتلني؛ فليس الأمر مجرد تصرف شخص واحد وكفى، وإنما هي مشكلة مجتمع بأكمله. لقد تكلمت مع بعض الآباء حول مشكلة توزيع المهر، وقلت له: إن المهر هو حق البنت المزوجة، وليس للأب أن يأخذ منه شيئاً، إلا إن رضيت البنت بذلك، وأن هذا الأمر ليس بدعاً - كما يزعم الآباء - وإنما هو قانون ونص شرعي تعلمناه من القرآن. وقد ردّ عليّ أحدهم: **"وهل تظن أن الأب الذي تعب على ابنته خمسة عشر سنة أو يزيد سيعطيها لشخص لا يكاد يعرفه ثم لا يأخذ عليه شيئاً مقابل ذلك، وهو الذي تعب على تربيتها حتى صارت إلى هذا السن؟"**. وقد أخبرته بأن الأب لو أعطى كامل المهر لابنته، امتثالاً لأمر الله، وقال لابنته: **"هذا مهرٌ كاملاً وتصرفي فيه كيفما شئت"**، لأبت نفس البنت أن تحرم أباهم وأقاربها من مهرها، ولما تركت لنفسها إلا اليسير، وبذلك يكسب الأب مالاً حلالاً، وأجرًا لحسن تربيته لابنته واتباعه أوامر ربه.

الأب: يا ابني: إن الناس في وقتنا هذا يلجؤون إلى القرآن إن كان لمصلحتهم، ولا يعترفون به إن كان ضدهم، ولو أردت أن تفهم الناس شيئاً من أصول الإسلام ومما يخالف ما الناس عليه من عادات خاطئة لردوا عليك بأن هذا من قول الشباب، وبلغوا أن يقولوا: **﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** (هود: ٨٧). يا ابني: ليس لنا من الأمر إلا أن نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الابن: لا حول ولا قوة إلا بالله، ونعم بالله.

(يجلس الولد ويقوم بصب فنجان من القهوة لوالده، وتغلق الستارة)

المشهد الثاني

(تفتح الستارة ويظهر الابن ووالده نائمين, ويظهر شخصٌ ملثمٌ يدخل في جنح الظلام ويضع كيسًا قرب رأس الابن دون أن يحس الابن به. يخرج الملثم مسرعًا، وفجأة يستيقظ الابن على صوت الخارج ويتلمس حوله وتسقط يده على كيس ثقيل)

الابن: أبي! أبي! قم وانظر ماذا وجدت.

الأب: لا حول ولا قوة إلا بالله. ماذا بك يا ولدي؟

الابن: لقد سمعتُ صوتًا، وبعد أن قمتُ فجأة تحسّستُ حولي فوجدتُ هذا الكيس.

الأب: كيس؟! وماذا به؟

الابن: لا أدري. يبدو أنه ثقيل. سأشعل المصباح لنرى ما بداخله.

(يقوم الابن فيشعل المصباح ثم يعود إلى الكيس فيفتحه)

الابن: ماذا؟!؟!!

الأب: ماذا وجدت؟

الابن: حصى!!

الأب: حصى؟!؟! إنك تحلم!

الاب: لا يا أبي، إنه حصى، ولكن انظر.

(يُخْرِجُ الابن من الكيس ورقة ويناولها أباه)

الأب: (يفتح الورقة ويقرأ)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبِئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧).

من عبد الله إلى عبد الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخي في الله، عليك أن تُخلي ما في هذا الكيس من حصي، ثم تضع فيه عن كل سورة تحفضها حصاة واحدة، بعدد السور التي تحفظها، ثم تخرج إلى السوق وتنادي: "من يزوجني بما في هذا الكيس؟"، ولا تخبر أحداً بما فيه، فلربما من الله عليك بمن يزوجك بما تحفظ من القرآن.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الابن: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. كما قلت لي يا أبي فهناك من الناس من لم تعرهم شهوة المال وحب الطمع، ولكنني أخشى أن تكون هذه أضحوكة.

الأب: لا تفسر المواقف على هواك، وقد ذُكر لك في أول الرسالة أن ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾. وماذا يضيرك إن فعلت ما كتبت في الرسالة، فرمما يكون صحيحًا، وأنت والحمد لله تحفظ كامل القرآن، أي مائة وأربعة عشر سورة؟

الابن: ولكن لماذا يا ترى يريدني أن أخرج إلى السوق وأنادي بين الباعة والناس؟ أتراه يريد أن يهزأ منا لفقرنا وسوء حالتنا المادية، ويوهم الناس أن ما نملكه من القرآن ليس البضاعة التي يجب الناس اقتناءها في هذا الزمان؟

الأب: ربما يكون كلامك صحيحًا، ولكن بالمقابل قد يريد هذا الشخص مقصدًا آخر، فلا تدع الشكوك تسيطر عليك، وتوكل على الله.

الابن: في الغد سأذهب بإذن الله ومعى هذا الكيس وأفعل ما كُتِبَ في الرسالة، وأرجو أن تسامحني يا أبى إن لحقنا شيءٌ من الشتم أو السخرية، فهذا أمرٌ غريب، وتجربة لم تُفَعَل من قَبْل، ولا أدري ما مغزاها.

الأب: إني سأكون معك، أراقب ما يجري، وسأدافع عنك إن أراد أحدٌ بك الأذى.

الابن: نعم أنت يا أبى، وسأقوم أنا بقيام الثلث الأخير من الليل، وأقرأ القرآن، وأتبتل إلى الله أن يوفقنا ولا يخزنا.

الأب: سأقوم الليل معك، فأني في شوقٍ لأن تدمع عيناى من خشية الله.

الابن: إذن على بركة الله.

(يقوم الاثنان ويتوضآن ثم يبدأ الابن في قراءة القرآن، بينما يشرع الأب في الصلاة، وتغلق الستارة)

المشهد الثالث

(تفتح الستارة على منظرٍ للسوق والباعة والناس تجوب السوق، بينما يظهر الابن حاملاً في يده الكيس وهو ينادي: "من يزوجني بما في هذا الكيس؟"، ويدور حوار بينه وبين بعض الناس)

أحد التجار: ماذا في ذلك الكيس؟

الابن: توكل على الله واعقد نية تزويجي، وسأخبرك بإذن الله بما في هذا الكيس.

التاجر: (يخاطب التجار الآخرين وعموم الناس بأسلوب ساخر) يبدو عليه الثقل. ربما وجد كنتزًا فملاً الكيس منه. (للابن) يا رجل، إن ما في هذا الكيس ولو كان ذهبًا لما وقيٌّ بمهر ابنتي! هل تستطيع دفع عشرين ألف ريال؟

تاجر آخر: أما أنا فلن أزوجه إلا بخمسةٍ وعشرين ألف!!

الابن: يا ناس، اتقوا الله فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وإن الله نهي أن يسخر قومٌ من قوم.

أحد المارة: أخبرنا بما في الكيس. ولكن ألسنت أنت الفقير ابن الفقير؟ فمن أين لك بأرخص المهور؟

الابن: يا ناس، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (الكهف: ٤٦).

رجل آخر: وما دخل هذا بما في الكيس؟

الابن: (بسرعة) إن ما في هذا الكيس ...

(فجأة يظهر من بين الجمع شيخ تبدو عليه سيماء الثراء والنعمة، ويقول مقاطعًا الابن)

الشيخ: أنا أزوجك!

الابن: أنت؟

الشيخ: نعم.

الابن: (في دهشة) وهل تعرف ما في هذا الكيس؟

الشيخ: قبل كل شيء، هل تحفظ شيئاً من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الزواج؟

الابن: نعم. هناك حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القائل: ((إِنْ أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ فَرُجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)). صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

الشيخ: صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرني ماذا في ذلك الكيس؟

الابن: (متردداً) حصي!! الكيس مملوء بالحصي!!

الشيخ: أعطني الكيس.

(يناول الابن الكيس للشيخ، فيفتحه الشيخ، ويبدأ في عدّ الحصى، والناس تنظر وتراقب دون أن تفهم شيئاً)

الشيخ: (بعد أن فرغ من عدّ الحصى) إن في الكيس مائة وأربعة عشر حصاة!

الابن: نعم.

الشيخ: هل معنى هذا أنك تحفظ القرآن كله؟

الابن: نعم.

الشيخ: (منادياً) اشهدوا عليّ أيتها الجماعة الحاضرون أي قد زوجت هذا الفتى من ابنتي بما يحفظ من القرآن!

الابن: (مستغرباً) أنت إذن صاحب الرسالة والكيس!!؟

الشيخ: نعم.

الابن: ولكنك لا تعرف عني شيئاً.

الشيخ: إني أعرف عنك أنك تحفظ ثلاثين جزءاً من القرآن.

الابن: وكفى؟

الشيخ: وأنت من أسرة يغمرها نور الإيمان.

الابن: ولكننا فقراء، ليس عندنا إلا قوت يومنا!

الشيخ: أنتم فقراء المال، ولكنكم أغنياء الدين.

أحد أتزوج هذا الصعلوك ونحن أبناء الثراء وأرباب الأموال؟

الحاضرين:

الشيخ: إن الله قد أنعم عليّ بمثل ما تملكونه، ولكني أفقر إلى ما يملكه هذا الشاب. إني أريد القرآن.

الرجل: ولكن هذا ليس ما يطلبه الناس، وما يُتباهى به في هذه الأيام.

الشيخ: كفى أن أكون راضياً بما طلبتُ، وأن ما طلبتُ هو الحق.

رجل يا عمي، إني أحق بابتك من هذا الغريب، فأنا ابن عمها، ولقد طلبتُ يدها منك

آخر: مرات فرفضتَ تزويجي.

الشيخ: يا ابني، أنت ابن عمها، هذا صحيح، ولكن لست بالذي سيسعدها ويأخذ بيدها

إلى الصواب إن ضللت.

رجل ثانٍ: إن هذا الذي تفعله أيها الشيخ بدعة اختلقتها لتُعيب علينا عاداتنا، وتسخر مما نحن

فيه من نعيم وثناء.

الشيخ: أما قولك: إن ما أفعله هو بدعة، فليس صحيحاً؛ فقد فعله رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - وأصحابه قبل أربعة عشر قرناً. وأما قولك بأني أريد أن أعيب عليكم

عاداتكم، فأيضًا ليس بصحيح. إني أريد أن أغيّر عاداتكم من مجرى الجشع وحب الدنيا إلى القناعة وحب الآخرة. وأما ما عندكم من نعيم وثراء فإنما هو زينة الدنيا وبهجتها، ولست أبا لي في شيءٍ فإن، إنما يهمني أن أكون على طريق الصواب الذي أستطيع به أن أتبيّن محاسن العادات من سيئها.

أحد (مناديًا) يا شيخ، إن الوالي يطلب منك أن تذهب للقاءه.

الحاضرين:

الشيخ: قل له بأني مشغول بتزويج ابنتي.

الرجل: إنه يأمرك أن توقف هذا حتى يراك، فهو يريد أن يخاطب ابنتك لابنه، وسيجعلك نائبًا له إن وافقت.

الشيخ: قل للوالي إن الشيخ قد ضاق بالدنيا ذرعًا وأراد اللجوء إلى الله، وأن ابنته هي في عصمة زوج تزوجها على كتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -.

الرجل: أهذا ما عندك من قول؟

الشيخ: هذا ما عندي، وأخبر الوالي بذلك. (للناس) أيها الناس، من أراد أن يحضر حفل زفاف ابنتي لهذا الشاب، فسيكون العرس - بإذن الله - في هذه الليلة في داري.

الابن: أشكر لك صنيعك هذا يا عمي. (يُقَبِّلُ رأس الشيخ) إني ما كنتُ أحسب أنه بقي في الدنيا أناسٌ لم تغرهم شهوة المال وحب الدنيا.

الشيخ: يا ابني، هذا من فضل الله وامتنانه علينا. اذهب وهذا ألف ريال جهز به بيتك، واشترِ ما أحببت من هدايا لزوجك، وبارك الله لك فيها وبارك الله لها فيك، وورزقكما الذرية الصالحة.

الابن: يا عمي: إني ذاهب لأخبر أبي. السلام عليكم.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

(يركض الابن مسرعًا نحو أبيه، بينما يُغلق الستار)